

الحياة والبيئة



الطيور والحيوانات وابن آدم

الليلة وليلة

٩

الطيور والحجوات وابن آدم

راجعها

سعيد جوده السمار 6 عبد الستار فراج

النشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الجمالية
القاهرة

حكايات تتعلق بالطيور والحوانات^(١)

١٤٦

(فلما كانت الليلة السادسة والأربعون بعد المائة) ، قالت شهرزاد : بلغنى آيها الملك السعيد ، أنه كان فى قديم الزمان ، وسالف العصر والأوان ، طاووس يأوى إلى جانب البحر مع زوجته ؛ وكان ذلك الموضع كثير السباع ، وفيه من سائر الوحوش ، غير أنه كثير الأشجار والأنهار . وذلك الطاووس هو وزوجته يأويان إلى شجرة من تلك الأشجار ليلا ، من خوفهما من الوحوش ، ويغدوان فى طلب الرزق نهارا . ولم يزالا كذلك حتى كثر خوفهما ، فسارا يبغيان موضعا غير موضعهما يأويان إليه . فبينما هما يقتشان عن موضع ، إذ ظهرت لهما جزيرة كثيرة الأشجار والأنهار ، فزلا فى تلك الجزيرة ، وأكلا من أثمارها ، وشربا من أنهارها .

فبينما هما كذلك ، إذ بيطة أقبلت عليهما ، وهى فى شدة القزع . ولم تزل تسعى حتى أتت إلى الشجرة التى عليها الطاووس هو وزوجته ،

(١) من الليلة ٤٤ إلى الليلة ١٤٦ فيها قصة عمر النعمان وبينها قصة العاشق والمعشوق وقد أخرجنا قصة عمر النعمان إلى نهاية القصص لما فيها من طول بالغ ، واضطراب كثير يحتاج إلى تنسيق ، أما العاشق والمعشوق فقد نصرت وهى العدد الثامن :

فاطمأنت . فلم يشك الطاووس في أن تلك البطة لها حكاية عجيبه ،
فسألها عن حالها ، وعن سبب خوفها ، فقالت : إلتى مريضه من الحزن
وخوفى من ابن آدم ، فالحذر ثم الحذر من بنى آدم .

فقال لها الطاووس : لا تخافى ، بعد أن وصلت إلينا .

فقالت البطة : الحمد لله الذى فرج عنى همى ونمى بقربكما ،
وقد أتيت راغبة فى مودتكما .

فما فرغت من كلامها ، نزلت إليها زوجة الطاووس ، وقالت لها :
أهلا وسهلا ومرحبا ، لا بأس عليك ، ومن أين يصل إلينا ابن آدم ؟
ونحن فى تلك الجزيرة التى فى وسط البحر ، فمن البر لا يقدر أن يصل
إلينا ، ومن البحر لا يمكن أن يطالع علينا ، فأبشرى وحدثينا بالذى نزل
بك واعتراك من ابن آدم .

فقالت البطة : اعلمى أيتها الطاووسة أنى فى هذه الجزيرة طول عمرى
آمنة ، لا أرى مكروها . فتمت ليلة من الليالى ، فرأيت فى منامى صورة .
ابن آدم ، وهو يخاطبنى وأخاطبه ، وسمعت قائلا يقول : أيتها البطة ،
احذرى من ابن آدم ، ولا تغترى بكلامه ، ولا بما يدخلكه عليك ، فإنه
كثير الحيل والخداع فالحذر كل الحذر من مكره ، فإنه مخادع ماكر ،
كما قال فيه الشاعر :

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

واعلمى أن ابن آدم يَحْتال على الحيتان فيخرجها من البحار ، ويرى الطير يَبْدُق من طين ، ويوقع الفيل بمكره ؛ وابن آدم لا يعلم أحد من شره ، ولا ينجو منه طير ولا وحش ، وقد بَلَّغْتُكَ ما سمعته عن ابن آدم .

فاستيقظت من منامى خائفة مرعوبة ، وأنا إلى الآن لا ينشرح صدري خوفا على نفسي من ابن آدم ، لئلا يدهنى بحيلته ، ويصيدنى بجائله . ولم يأت على آخر النهار إلا وقد ضعفت قوتي ، وبطلت همتي .

ثم إنى اشتقت إلى الأكل والشرب ، فخرجت أتمشى ، وخاطرى مكدر ، وقلبي مقبوض : فلما وصلت إلى ذلك الجبل ، وجدت على باب مغارة شبلا أصفر اللون ؛ فلما رآنى ذلك الشبل فرح بى فرحا شديدا ، وأعجبه لوني ، وكونى لطيفة الذات ، فصاح على وقال : اقربى منى .

فلما قربت منه قال لى : ما اسمك ؟ وما جنسك ؟

قلت له : اسمى بطة ، وأنا من جنس الطيور .

ثم قلت له : ما سبب قعودك إلى هذا الوقت فى هذا المكان ؟

فقال الشبل : سبب ذلك أن والدى الأسد له أيام وهو يحذرنى من ابن آدم ، فاتفق أننى رأيت فى هذه الليلة فى منامى صورة ابن آدم .

ثم إن الشبل حكى لى نظير ما حكيت لك ، فلما سمعت كلامه قلت له : يا أسد ، إني قد لجأت إليك فى أن تقتل ابن آدم وتحزم رأيك .

في قتله ، فأني أخاف على نفسي منه خوفا شديدا ، وازددت خوفا على
خوفي من خوفك من ابن آدم ، مع أنك سلطان الوحوش .

ومازلت يا أختي أحذر الشبل من ابن آدم وأوصيه بقتله ، حتى
قام من وقته وساعته من المكان الذي كان فيه ؛ وتمشى وتمشيت وراءه ،
فقرقع بذنبه على ظهره . ولم يزل يتمشى وأنا أمشي وراءه إلى مدق
الطريق ، فوجدنا غيرة طارت ، وبعد ذلك انكشفت الغيرة فبان من
تحتها حمار شارد عريان ، وهو تارة يَمْصُ ويجرى ، وتارة يتمرغ .
فلما رآه الأسد صاح به ، فأني إليه خاضعا ، فقال له : أيها الحيوان
الخرّيف ما جنسك ؟ وما سبب قدومك إلى هذا المكان ؟

فقال : يا ابن السلطان ، أنا جنسي حمار ، وسبب قدومي إلى هذا
المكان هروبي من ابن آدم .

فقال له الشبل : وهل أنت خائف من ابن آدم أن يقتلك ؟

فقال له الحمار : لا يا ابن السلطان ، وإنما خوفي أن يمتثل
على وركبتي ، لأن عنده شيئا يسميه البردعة ، فيجعلها على ظهري ،
وشيئا يسميه الحزام فيشده على بطني ، وشيئا يسميه الثغر فيجعله تحت
ذني ، وشيئا يسميه اللجام فيجعله في فمي ، ويعمل لي بمنخاسا ينخسني به ،
ويكلفني مالا أطيق من الجري . وإذا عثرت لعني ، وإذا نهقت شتمني ،
وبعد ذلك إذا كبرت ولم أقدر على الجري يجعل لي رَحْلا من الخشب

ويسلمنى إلى السقائين ، فيحملون الماء على ظهري من النهر في القرب
ونحوها ، كالجرار . ولا أزال في ذل وهوان وتعب حتى أموت ، فيرموني
فوق التلال للكلاب . فأى شيء أكبر من هذا المم ؟ وأى مصيبة
أكبر من هذه المصائب ؟

فلما سمعت آيتها الطاووسة كلام الحمار ، اقشعر جنى من ابن آدم ،
وقلت للشبل : يا سيدى ، إن الحمار معذور ، وقد زادنى كلامه رعبا
على رعبى .

فقال الشبل للحمار : إلى أين أنت سائر ؟

فقال له الحمار : إني نظرت ابن دم قبل إشراق الشمس من بعيد ،
فقررت هربا منه ، ولم أزل أجري من شدة خوفى منه . وها أنا ذا أريد
أن أنطلق ، عسى أن أجد لى موضعا آوى إليه من ابن آدم القedar .

فبينما ذلك الحمار يتحدث مع الشبل فى ذلك الكلام ، وهو يريد
أن يودعنا ويروح ، إذ ظهرت لنا غيرة ، فهق الحمار وصاح ، ونظر بعينه
إلى ناحية الغيرة واضطرب اضطرابا شديدا . وبعد ساعة انكشفت الغيرة
عن فرس آدم ، بكرة كالدرم ، وذلك القرس ظريف مايح التحجيل ،
حسن القوائم والصهيل ؛ ولم يزل يجرى حتى وقف بين يدى الشبل
ابن الأسد . فلما رآه الشبل استعظمه ، وقال له : ما جنسك أيها الوحش
الجليل ؟ وما سبب شرودك فى هذا البر العريض الطويل ؟

فقال : يا سيد الوحوش ، أنا فرس من جنس الخيل ، وسبب
شرودي هروبي من ابن آدم .

فتمعجب الشبل من كلام الفرس وقال : لا تقل هذا الكلام
فإنه عيب عليك ، وأنت طويل غليظ . وكيف تخاف من ابن آدم
مع عظم جثتك وسرعة جريك ؟ وأنا مع صغر جسمي قد عزمت على
أن ألتقي بابن آدم فأبطش به وآكل لحمه ، وأسكن روع هذه البطة
المسكينة ، وأقرها في وطنها . وما أنت ذا لما أتيت في هذه الساعة
قطعت قلبي بكلامك ، ورجعتني عما أردت أن أفعله ، لأنك أنت مع
عظمتك قد قهرت ابن آدم ، ولم يخف من طولك وعرضك مع أنك
لورفته برجلك لقتلته ، ولم يقدر عليك ، بل تسقيه كأس الردي .

فضحك الفرس لما سمع كلام الشبل وقال : هيهات هيهات
أن أغلبه يا ابن الملك ، فلا يترك طولي ولا عرضي ولا ضخامتي مع
ابن آدم ، لأنه من شدة حيله ومكره يصنع لي شيئا يقال له الشكّال ،
ويضع في أربعة قوائم شيكالين من حبال الليف الملفوفة باللباد ، ويصلبني
من رأسي في وتد عال ، وأبقى واقفا وأنا مصلوب لا أقدر على القعود ولا النوم .
وإذا أراد أن يركبني يعمل لي شيئا في رجليه من الحديد اسمه الرّكاب ،
ويضع على ظهري شيئا يسميه السرج ، ويشده بحزامين من تحت إبطي ،
ويضع في فمي شيئا من حديد يسميه اللجام ، ويضع فيه شيئا من الجلد

يسميه العنان . فإذا ركب فوق ظهرى على السرج يمسك العنان بيده ،
ويقودنى به ، ويهزنى بالركاب فى خواصرى حتى يدميها . ولا تسأل
يا ابن السلطان عما أقاسيه من ابن آدم ؛ فإذا كبرت وتساقط شعر ظهري ،
ولم أقدر على سرعة الجري ، يبيعنى للطحان ليدربى الطاحون ؛ فلا أزال
دائرا فيه ليلا ونهارا إلى أن أهرم ، ثم أقتل ويسلخ جلدى وينتف ذنبى .
فلما سمع الشبل كلام الفرس ، ازداد غيظا وغما ، وقال له : متى فارقت
ابن آدم ؟

قال : فارقت نصف النهار ، وهو فى أثرى .

فبينما الشبل يتحدث مع الفرس فى هذا الكلام ، إذ بغيرة ثارت ،
وبعد ذلك انكشفت الغيرة وبان من تحتها جبل هائج ، وهو يرغبو
ويهدر ويخبط برجليه الأرض ؛ ولم يزل يفعل كذلك حتى وصل إلينا .
فلما رآه الشبل كبيرا غليظا ظن أنه ابن آدم ، فأراد الوثوب عليه ،
فقلت له : يا ابن السلطان ، ليس هذا هو ابن آدم ، وإنما هذا جل ،
ولعله هارب من ابن آدم .

فبينما أنا يا أختى مع الشبل فى هذا الكلام ، إذ بالجلن تقدم بين
أيادى الشبل وسلم عليه ، فردّ عليه السلام ، وقال له : ما سبب مجيئك
إلى هذا المكان ؟

قال : جئت هاربا من ابن آدم .

فقال له الشبل : وأنت مع عظم خلقتك وطولك وعرضك ، كيف تخاف من ابن آدم ، ولو رفته برجلك رفسة لقتلته ؟

فقال له الجمل : يا ابن السلطان ، اعلم أن ابن آدم له دواء لا تطاق ، وما يغلبه إلا الموت ؛ لأنه يضع في أنفي خيطا ويسميه خزاما ، ويجعل في رأسي مقودا ، ويسلمني إلى أصغر أولاده ، فيجبرني الولد الصغير بالخيوط مع كبرى وعظمى ، ويحملونني أثقل الأحمال ، ويسافرون بي الأسفار الطوال ، ويستعملونني في الأشغال الشاقة آتاء الليل وأطراف النهار . وإذا كبرت وشخت أو انكسرت لا يحفظ صحتي ، بل يبيعني للجزاز فيذبحني ، ويبيع جلدي للدباغين ، ولحمي للطباخين ، ولا تسال عما أقاسيه من ابن آدم .

فقال له الشبل : أي وقت فارقت ابن آدم ؟

فقال : فارقت وقت الغروب ، وأظنه يأتي عند انصرافي فلا يجدني ، فيسمى في طلبي . فدعني يا ابن السلطان حتى أهرب في البراري والقفار .

فقال الشبل : تمهل قليلا يا جمل ، حتى تنظر كيف أفترسه ، وأطعمك من لحمه ، وأهشم عظمه ، وأشرب من دمه .

فقال له الجمل : يا ابن السلطان ، أنا خائف عليك ، فإنه مخادع حاكِر ، ثم أنشد قول الشاعر :

إذا حل الثقل بأرض قوم فما لساكين سوى الرحيل

فبينما الجمل يتحدث مع الشبل في هذا الكلام ، إذ بغيرة طلعت ، وبعد ساعة انكشفت عن شيخ قصير ، رقيق البشرة ، على كتفه نقطف فيه عدة نجار ، وعلى رأسه ثمانية ألواح ، ويده أطفال صغار ، وهو يهرول في مشيه ، وما زال يمشى حتى قرب من الشبل . فلما رأيته يا أختي وقعت من شدة الخوف ، وأما الشبل فإنه قام وتمشى إليه ولاقاه ، فلما وصل إليه فجبك النجار في وجهه ، وقال بلسان فصيح : أيها الملك الجليل ، صاحب الباع الطويل ، أسعد الله مساءك ومسعاك ، وزاد في شجاعتك وقواك ، أجرتني بما دهاني ، وبشره رماني ، لأنني ما وجدت لي نصيرا غيرك .

ثم إن النجار وقف بين يدي الأسد وبكى ، وأن واشتكى ، فلما سمع الشبل بكاءه وشكواه ، قال له : أجرتك مما تمناه ، فمن الذي قد ظلمك ، وما أنت تكون أيها الوحش الذي ما رأيت عمرى مثلك ، ولا أحسن صورة وأنصح لسانا منك . فما شأنك ؟

فقال له النجار : يا سيد الوحوش ، أما أنا فنجار ، وأما الذي ظلمني فإنه ابن آدم ، وفي صباح هذه الليلة يكون عندك في هذا المكان .

فلما سمع الشبل من النجار هذا الكلام ، تغير الضياء في وجهه إلى ظلام ، وشخر ونخر ، ورمت عيناه بالشرر ، وصاح وقال : والله لأسهرن في هذه الليلة إلى الصباح ، ولأرجع إلى والدي حتى أبلغ مقصدي .

ثم إن الشبل التفت إلى النجار وقال له : إني أرى خطواتك قصيرة ،
ولا أقدر أن أخيب رجاءك لأنني ذو مروءة ، وأظن أنك لا تقدر أن
تتمشي الوحوش ، فأخبرني إلى أين تذهب ؟

فقال له النجار : اعلم أنني رأتني إلى وزير والدك الفهد ، لأنه لما
بلغه أن ابن آدم داس هذه الأرض ، خاف على نفسه خوفا عظيما ، وأرسل
إلى رسول من الوحوش لأصنع له بيتا يسكن فيه ، ويأوى إليه ، ويمنع
عنه عدوه حتى لا يصل إليه أحد من بني آدم . فلما جاءني الرسول أخذت
هذه الألواح وتوجهت إليه .

فلما سمع الشبل كلام النجار ، أخذ الحسد للفهد ، فقال له : بحياتي
لا بد أن تصنع لي هذه الألواح بيتا قبل أن تصنع للفهد بيته ، وإذا
فرغت من شغلي فامض إلى الفهد واصنع له ما يريد .

فلما سمع النجار من الشبل هذا الكلام ، قال له : يا سيد الوحوش ،
ما أقدر أن أصنع لك شيئا إلا إذا صنعت للفهد ما يريد ، ثم أجيء إلى
خدمتك ، وأصنع لك بيتا يحصنك من عدوك .

فقال له الشبل : والله ما أخليك تروح من هذا المكان حتى تصنع
لي هذه الألواح بيتا .

ثم إن الشبل همّ بالنجار ووثب عليه ، وأراد أن يمزح معه فإلطسه
بيده فرمى المقطف من فوق كتفه ، ووقع النجار مغشيا عليه . فضحك

الشبل عليه وقال له :

— ويلك يا نجار ، إنك ضعيف وما لك قوة ، فأنت معذور
إذا تحفت من ابن آدم .

فلما وقع النجار على ظهره اغتاض غيظا شديدا ، ولكنه كتم
ذلك عن الشبل من خوفه منه . ثم قعد النجار وضحك في وجه
الشبل وقال له :

— ها أنا أصنع لك البيت .

ثم إن النجار تناول الألواح التي كانت معه ، وسمر البيت
وجعله مثل القالب قياس الشبل ، وخلق بابه مفتوحا لأنه جعله
على صورة صندوق ، وفتح له طاقة كبيرة وجعل لها غطاء وثقب
فيها ثقبوا كثيرة وأخرج منها مسامير مطرقة ، وقال للشبل :
— ادخل في هذا البيت من هذه الطاقة لأقييه عليك .

ففرح الشبل بذلك ، وأتى تلك الطاقة فرآها ضيقة فقال له
النجار :

— ادخل وابرك على يديك ورجليك .

ففعل الشبل ذلك ودخل الصندوق وبقي ذنبه خارجا . ثم
أراد الشبل أن يتأخر إلى ورائه ويخرج فقال له النجار :

— امهل حتى أنظر هل يسع ذنبك معك أم لا .

فامثل الشبل أمره . ثم إن النجار لف ذنب الشبل وحشاه في

الصندوق ورد اللوح على الطاقة سريعا وسمره ، فصاح الشبل :
قائلا :

— يا نجار ما هذا البيت الضيق الذى صنعته لى ؟ دعنى
أخرج منه .

فقال له النجار :

— هيهات .. لا ينفع الندم على ما فات ، إنك لا تخرج من
هذا المكان .

ثم ضحك النجار وقال للشبل :

— إنك وقعت فى القفص وكنت أخبث الوحوش .
فقال له :

— يا أخى ما هذا الخطاب الذى تخاطبنى به ؟

فقال له النجار :

— اعلم يا كلب البر إنك وقعت فيما كنت تخاف منه ، وقد
رماك القدر ولم ينفعك الحذر .

فلما سمع الشبل كلامه يا أختى ، علم أنه ابن آدم الذى
حذره منه أبوه فى اليقظة والهاتف فى المنام ، وتحققت أنه هو بلا
شك ولا ريب فخفت منه على نفسى خوفا عظيما ، وبعدت عنه
قليلا وصرت أنتظر ماذا يفعل بالشبل ، فرأيت يا أختى ابن آدم
حفر حفرة فى هذا المكان بالقرب من الصندوق الذى فيه

الشبل ، ورماء في تلك الحفرة وألقى عليه الحطب وأحرقه بالنار . فكبر يا أختي خوفي ، ولي يومان هاربة من ابن آدم وخائفة منه .

فلما سمعت الطاووسة من البطة هذا الكلام تعجبت منه غاية العجب ، وقالت :

— يا أختي إنك أمنت من بنى آدم لأننا في جزيرة من جزائر البحر ، وليس لابن آدم فيها مسلك ، فاختارى المقام عندنا إلى أن يسهل الله أمرك وأمرنا .

قالت :

— أخاف أن يطرقنى طارق ، والقضاء لا ينفعك عنه أبى .
فقالت :

— اقعدى عندنا وأنت مثلنا .

ولا زالت بها حتى قعدت وقالت :

— يا أختي أنت تعلمين قلة صبرى ، ولولا أنى رأيتك هنا ما كنت قعدت .

فقالت الطاووسة :

— إن كان على جبيننا شيء نستوفاه ، وإن كان أجلنا قد دنا

فمن يخلصنا ؟ ولن تموت نفس حتى تستوفى رزقها وأجلها .

فبينما هما في هذا الكلام إذ طلعت عليهما غيرة ، فعند ذلك

صاحت البطة ونزلت البحر وقالت :

— الحذر .. الحذر ، وإن لم يكن مفر من القدر .

وكانت الغبرة عظيمة . فلما انكشفت الغبرة ظهر من تحتها

ظبي ، فاطمأنت البطة والطاووسة ، ثم قالت البطة :

— يا أختي إن الذي تفرعين منه ظبي ، وها هو قد أقبل نحونا

فليس علينا منه بأس ، لأن الظبي إنما يأكل الحشائش من نبات

الأرض ، وكما أنت من جنس الطير هو الآخر من جنس

الوحوش ، فاطمئني ولا تهمني فإن الهم ينحل البدن .

فلم تم الطاووسة كلامها حتى وصل الظبي إليها يستظل

تحت الشجرة ، فلما رأى الطاووس والبطة سلم عليهما وقال

لهما :

— إني دخلت هذه الجزيرة اليوم فلم أر أكثر منها خصيبا ، ولا

أحسن منها مسكنا .

ثم دعاهما لمرافقته ومضافاته . فلما رأت البطة والطاووسة

تودده إليهما أقبلتا عليه ورغبتا في عشرته ، وتحالفوا على ذلك

وصار مبيتهم واحدا ومأكلهم سواء .

ولم يزالوا آمنين آكلين شاربين حتى مرت بهم سفينة كانت تائهة

في البحر فأرست قريبا منهم ، فطلع الناس وتفرقوا في الجزيرة

فأرأوا الظبي والطاووسة والبطة مجتمعين فأقبلوا عليهم ، فشرد الظبي

في البرية ، وطارت الطاووسة في الجو ، فبقيت البطة مخبئة . ولم يزالوا بها حتى صادوها ، وصاحت قائلة : لم ينفعني الحذر ، من القضاء والقدر .

وانصرفوا بها إلى سفينتهم .

فلما رأت الطاووسة ماجرى للبطة ، ارتحلت من الجزيرة وقالت : لا أرى الآجال إلا مرصدة لكل أحد ، ولولا هذه السفينة ما حصل بيني وبين هذه البطة افتراق ، ولقد كانت من خيار الأصدقاء .

ثم طارت الطاووسة واجتمعت بالظبي ، فسلم عليها وهنأها بالسلامة ، وسألها عن البطة فقالت له : قد أخذها العدو ، وكرهت المقام في تلك الجزيرة بعدها .

ثم بكّت على فراق البطة وأنشدت تقول :

إنّ يوم الفراق قطع قلبي قطع الله قلب يوم الفراق

وأنشدت أيضا :

تمنيت الوصال يصود يوما لأخبره بما ضنع الفراق

فاغمم الظبي غما شديدا ، ثم رد عزم الطاووسة عن الرحيل ، فأقام معها في تلك الجزيرة آمنين آكلين شاربين ، غير أنهما لم يزالا حزينين على فراق البطة ، فقال الظبي للطاووسة : يا أختي قد علمت أن الذين طلّعوا لنا من المركب كانوا سببا في فراقنا وهلاك البطة ، فاحذريهم ، واحترسي منهم ، ومن مكر ابن آدم وخداعه .

(الطيور والحيوانات)

قالت : قد علمت يقينا أنه ما قتلها غير تركها التسبيح ، ولقد قلت لها إني أخاف عليك من تركك التسبيح ، لأن كل ما خلقه الله يسبح بحمده ، فإن غفل عن التسبيح عوقب بهلاكه .

فلما سمع الظبي كلام الطاووسة قال : أحسن الله صورتك .
وأقبل على التسبيح لا يفتقر عنه ساعة .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

قصة العابد

١٤٨

(فلما كانت الليلة الثامنة والأربعون بعد المائة) ، قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان فى بعض الجبال رجل من الرعاة ، صاحب دين وعقل وعفة ، وكانت له غنم يرعاها وينتفع بألبانها وأصوافها . وكان ذلك الجبل الذى يأوى إليه الراعى كثير الأشجار والمرعى والسباع ، ولم يكن لتلك الوحوش قدرة على الراعى ، ولا على غنمه . ولم يزل مقبلا فى الجبل مطمئنا ، لا يهمه شيء من أمر الدنيا ، لسعادته وإقباله على عبادته . فاتفق له أنه مرض مرضا شديدا ، فدخل كهفا فى الجبل ، وصارت الغنم تخرج بالنهار إلى مرعاها ، وتأوى بالليل إلى الكهف ، فأراد الله أن يمتحن

ذلك الراعى ويختبره فى طاعته وصبره ، فبعث إليه ملكا ، فدخل عليه الملك فى صورة امرأة حسناء ، وجلس بين يديه . فلما رأى الراعى تلك المرأة جالسة عنده اقشعر بدنه منها ، فقال لها : أيتها المرأة ، ما الذى دعاك إلى المجيء هنا ، وليس لك حاجة معى ، ولا بينى وبينك ما يوجب دخولك عندى .

فقلت له : أيها الإنسان ، أما ترى حسنى وجمالى وطيب رائحتى ؟ أما تعلم حاجة الرجال إلى النساء ؟ فما الذى يمتنع منى وقد اخترت قربك ، وأحببت وصالك ، وقد جئتك طائعة ، وعليك غير ممتنعة ، وليس عندنا أحد نخشاه ، وأريد أن أقيم معك طول مقامك فى هذه الجبال ، وأكون أنيسة لك . وقد عرضت نفسى عليك لأنك تحتاج لخدمة النساء ، وقد نصحتك فأقبل نصيحتى وادن منى .

فقال الراعى : اخرجى عنى أيتها المرأة الخداعة الغدارة ، فلا أركن إليك ، ولا أدنومنك ، ولا حاجة لى بقربك ولا بوصالك ؛ لأن من رغب فىك زهد فى الآخرة ، ومن رغب فى الآخرة زهد فىك ؛ لأنك فتنت الأولين والآخرين ، والله تعالى لعباده بالمرصاد ، والويل لمن ابتلى بصحبتك .

فقلت له : أيها التائه عن السداد ، والضال عن طريق الرشاد ، أقبل بوجهك إلىّ وانظر إلى محاسنى ، واغتمم قربى كما فعل من كان

قبلك من الحكماء ؛ فقد كانوا أكثر منك تجربة ، وأصوب منك رأيا ،
ومع ذلك لم يرفضوا ما رفضت من التمتع بالنساء وقربهن ، فما أساءهم
ذلك في دينهم ولا دنياهم ، فارجع عن رأيك محمد عاقبة أمرك .

فقال الراعى : إن الذى تقولينه كرهته ، وجميع ما تبدينه زهدته ،
لأنك خداعة غدارة لا عهد لك ولا وفاء ، فكم من قبيح تحت حسنك
أخفيت ، وكم من صالح فتنه ، وكانت عاقبته إلى الندامة والحزن . فارجع
عن أيتها المصلحة نفسها لفساد غيرها .

ثم ألقى عباءته على وجهه حتى لا يرى وجهها ، واشتغل بذكر ربه .
فلما رأى الملك حسن طاعته ، خرج وخرج إلى السماء ، وكان بالقرب من
الراعى قرية فيها رجل من الصالحين لم يعلم بمكانه . فرأى فى منامه كأن
قائلا يقول له : بالقرب منك فى مكان كذا رجل صالح فاذهب إليه ،
وكن تحت طاعة أسرته .

فلما أصبح توجه نحوه سائرا ، فلما اشتد عليه الحر انتهى إلى
شجرة عندها عين جارية ، فجلس فى ظل الشجرة ليسترىح ، فبينما هو
جالس إذ أتت وحوش وطيور : أتت إلى تلك العين لتشرب منها .
فلما رأت العابد جالسا ثمرت ورجعت شاردة ، فقل العابد فى نفسه :
أنا ما استرحت هنا إلا لتعب هذه الوحوش والطيور .

ثم قام وقال معاتباً نفسه : لقد أضرب هذه الحيوانات في هذا اليوم جلوسى في هذا المكان ، فما عذرى عند خالق وخالق هذه الطيور والوحوش ؟ فإنى كنت سبياً لشرودها عن مائها ومرعائها . فواخجلت من ربي يوم يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء ، ثم أفاض من جفنه العبرات ، وأنشد هذه الأبيات :

أما والله لو علم الأنام لما خلقوا لما غفلوا وناموا
فوت ثم بث ثم حشر وتوزيع وأهوال عظام
ونحن إذا نهيتا أو أمرنا كأهل الكهف أكثرنا نيام

ثم بكى على جلوسه تحت الشجرة عند العين ، ومنعه الطيور والوحوش من شربها ، وولى هاماً على وجهه ، حتى أتى إلى الراعى فدخل عنده ، وسلم عليه ، فرد عليه السلام وعانقه وبكى . ثم قال الراعى : ما الذى أقدمك إلى هذا المكان الذى لم يدخله أحد من الناس على ؟

فقال العابد : إنى رأيت فى منامى من يصف لى مكانك ، ويأمرنى بالمسير إليك والسلام عليك ، وقد أتيتك ممثلاً لما أمرت به .

فقبله الراعى ، وطابت نفسه بصحبته ، وجلس معه فى الجبل يعبدان الله تعالى فى ذلك الغار ، وحسنت عبادتهما . ولم يزل فى ذلك المكان يعبدان ربهما ، ويتقوتان من لحوم الغنم وألبانها ، متجردين عن المال والبين ، إلى أن أتاهما اليقين .

قال الملك شهریار : لقد زهدتني يا شهر زاد في ملكي ، وندمتني على ما فرط مني في قتل النساء والبنات ، فهل عندك شيء من حديث الطيور؟

طير الماء والسلحف

قالت : نعم . زعموا أيها الملك أن طيرا طار وعلا إلى الجو ، ثم انقض على صخرة في وسط الماء ، وكان الماء جاريا . فبينما الطائر واقف على الصخرة ، إذ برمة إنسان جرّها الماء حتى أسندها إلى الصخرة . ووقفت تلك الجيفة في جانب الصخرة ، وارتفعت لا تتفاخها ، فدنا منها طير الماء ، وتأملها ، فرآها رمة ابن آدم ؛ وظهر له فيها ضرب السيف ، وطعن الرماح ، فقال في نفسه : إن هذا المقتول كان شريرا ، فاجتمع عليه جماعة وقتلوه واستراحوا منه ومن شره .

ولم يزل طير الماء يكثر التعجب من تلك الرمة ، حتى رأى نسورا وعقبانا أحاطوا بتلك الجيفة من جميع جوانبها . فلما رأى ذلك طير الماء ، جزع جزعا شديدا وقال : لا صبر لي على الإقامة في هذا المكان . ثم طار منه يفتش على موضع يأويه إلى حين نفاد تلك الجيفة ، وزوال سباع الطير عنها . ولم يزل طائرا حتى وجد نهرا في وسطه شجرة ، فنزل عليها ، كئيبا حزينا على بعده عن وطنه ، وقال في نفسه : لم تزل الأحزان تتبعني ، وكنت قد استرحت لما رأيت تلك الجيفة ، وفرحت

بها فرحا شديدا ، وقلت هذا رزق ساقه الله إلي ، فصار فرحي غما ،
وسروري حزنا واما ، واقتربتها سباع الطير مني ، وحالوا بينها وبينى ؛
فكيف أرجو أن أكون سالما في هذه الدنيا وأطمئن إليها ؟ وقد قيل
في المثل : الدنيا دار من لا دار له ، يغتر بها من لا عقل له ، ويطمئن
إليها بماله وولده وقومه وعشيرته . ولم يزل المغتر بها راكنا إليها يمتثل
فوق الأرض حتى يصير تحتها ، ويحشو عليه التراب أعز الناس عليه ،
وأقربهم إليه . وما للفتى خير من الصبر على مكارها . وقد فارت مكانى
ووطنى ، وكنت كارها لفرقة إخوانى وأصحابى .

فبينما هو في فكرته ، إذ بذكر من السلاحف أقبل منحدرًا في
الماء ، ودنا من طير الماء وسلم عليه ، وقال : يا سيدى ما الذى أبعدك
عن موضعك ؟

قال : حلول الأعداء فيه ، ولا صبر للعاقل على مجاورة عدوه .
فقال له السلاحف : إذا كان الأمر كما وصفته ، والحال مثل
ما ذكرته ، فأنا لا أزال بين يديك ولا أفارقك ، لأقضى حاجتك ،
وأوفى خدمتك ، فإنه يقال : لا وحشة أشد من وحشة الغريب المنقطع
عن أهله ووطنه . وقد قيل : إن فرقة الصالحين لا يعد لها شيء من
المصائب . ومما يسلى به العاقل نفسه الاستئناس في الغربة ، والصبر على
الرزية والكربة ، وأرجو أن محمد صحبتى لك ، وأكون لك
خادما ومعينا .

فلما سمع طير الماء مقالة السلحف ، قال له : لقد صدقت في قولك ،
ولعمري إني وجدت للفراق ألماً وغماً مدة بعدى عن مكاني ، وفراقى
لإخوانى وخلاتى . لأن في الفراق عبرة لمن اعتبر ، وفكرة لمن تفكر .
وإذا لم يجد القى من يسليه من الأصحاب يتقطع عنه الخير أبداً ، ويثبت
له الشر سرمداً . وليس للعاقل إلا التسلى بالإخوان عن الهوم في جميع
الأحوال ، وملازمة الصبر والتجملد ، فإنهما خصلتان محمودتان ، تعينان على
نوائب الدهر ، ويدفعان الفزع والجزع في كل أمر .

فقال له السلحف : إياك والجزع ، فإنه يفسد عليك عيشك ،
ويذهب مروءتك .

وما زال يتحدثان إلى أن قال طير الماء للسلحف : أنا لم أزل
أخشى نوائب الزمان ، وطوارق الحدثان .

فلما سمع السلحف مقالة طير الماء ، أقبل عليه ، وقبله بين عينيه ،
وقال له : لم تنزل جماعة الطير تعرف في مشورتك الخير ، فكيف تحمل
الهم والضير ؟

ولم ينزل بسكن روع طير الماء حتى اطمأن ، ثم إن طير الماء طار
إلى مكان الجيفة ، فلما وصل إليه لم ير من سباع الطير شيئاً ، ولا من
تلك الجيفة إلا عظاماً ؛ فرجع يخبر السلحف بزوال العدو من مكانه ،

وقال له : إني أحب الرجوع إلى مكاني ، لأتأمل بخلقاني ، فإنه لا صبر للعاقل عن وطنه .

فذهب معه إلى ذلك المكان ، فلم يجد شيئا مما يخافان منه ، فصار طير الماء قرير العين ، وأنشد هذين البيتين :

ولرب نازلة يضيق لها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرجُ
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرجُ

ثم سكنا تلك الجزيرة . فبينما طير الماء في أمن وسرور ، وفرح وحبور ، إذ ساق القضاء إليه بازا جائعا ، فضربه بمخالبه ضربة فقتله ، ولم يبق عنه الحذر عند فراغ الأجل .

هذا ما كان من حديث الطير

فقال الملك : يا شهرزاد ، لقد زدتنى بحكايتك مواعظ واعتبارا ، فهل عندك شيء من حكايات الوحوش ؟

الثعلب والذئب

ف قالت : اعلم أيها الملك أن ثعلبا وذئبا ألفا وكرا ، فكانا يأويان إليه معا ؛ فلبثا على ذلك مدة من الزمان ، وكان الذئب للثعلب قاهرا . فاتفق أن الثعلب أشار على الذئب بالرفق وترك الفساد ، وقال له : إن دمت على عتوك ربما سلط الله عليك ابن آدم ، فإنه ذو حيل ومكر (الطيور والحيوانات ..)

وخداع ، يصيد الطير من الجو ، والحوت من البحر ، ويقطع الجبال وينقلها ، وكل ذلك من حيله ؛ فعليك بالإنصاف ، وترك الشر والاعتساف ، فإنه أهنا لطعامك .

فلم يقبل الذئب قوله ، وأغلظ له الرد ، وقال له : لا علاقة لك بالكلام في عظيم الأمور وجسيمها .

ثم لعن الثعلب لطمه ، فخرمها مغشيا عليه . فلما أفاق تبسم في وجه الذئب ، واعتذر إليه من الكلام الشين ، وأنشد هذين البيتين :

إن كنت قد أذيت ذنبا سالفا في حكم وأتيت شيئا منكرا
أنا تائب عما جنيت وعفوك يسع المسىء إذا أتى مستغفرا
فقبل الذئب اعتذاره ، وكف عنه أشراره ، وقال له : لا تتكلم فيما لا يعنيك ، تسمع ما لا يرضيك .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٤٩

(فلما كانت الليلة التاسعة والأربعون بعد المائة) ، قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الثعلب قال للذئب : سمعا وطاعة ، فأنا بمعزل عما لا يرضيك ، فقد قال الحكيم : لا تنهر عما لا تُسأل عنه ، ولا تجب

إلى ما لا تدعى إليه ، وذو الذي لا يعنيك إلى ما يعنيك ، ولا تبذل النصيحة للأشرار ، فإنهم يجزونك عليها شرا .

فلما سمع الذئب كلام الثعلب ، تبسم في وجهه ، واسكنه أضمر له مكرا ، وقال : لا بد أن أسى في هلاك هذا الثعلب .

وأما الثعلب فإنه صبر على أذى الذئب ، وقال في نفسه : إن البطر والافتراء يجلبان الهلاك ، ويوقعان في الارتباك ، فقد قيل : « من بطر خسر ، ومن جهل تدم ، ومن خاف سلم ، والإنصاف من شيم الأشراف ، والآداب أشرف الأكساب » . ومن رأى مداراة هذا الباغى ، ولا بد له من مصرع .

ثم إن الثعلب قال للذئب : إن الرب يعفو ويتوب على عبده إن اقترف الذنوب ، وأنا عبد ضعيف ، وقد ارتكبت في نصحك التعسف . ولو علمت بما حصل لي من ألم لطمتك ، لعلمت أن القيل لا يقوم به ولا يقدر عليه ؛ ولكني لا أشتكى من ألم هذه اللطمة ، بسبب ما حصل لي بها من السرور ، فإنها وإن كانت قد بلغت مني مبلغا عظيما ، عاقبتها سرور . وقد قال الحكيم : « ضرب المؤدب أوله صعب شديد ، وآخره أحلى من العسل المصفى » .

فقال الذئب : غفرت ذنوبك ، وأقلت عثرتك ، فكُن من قوتي على حذر ، واعترف لي بالعبودية ، فقد علمت قهرى لمن عاداني .

فسجد له الثعلب وقال له : أطل الله عمرك ، ولازمت قاهرا
لمن عاداك .

ولم يزل الثعلب خائفا من الذئب ، مصانعا له . ثم إن الثعلب
ذهب إلى كرم يوما ، فرأى في حائطه ثلثة فأنكرها ، وقال في نفسه :
إن هذه الثلثة لابد لها من سبب ، وقد قيل : « من رأى خرقا في الأرض
فلم يمتنبه . ويتوقع الإقدام عليه ، كان بنفسه مغررا ، وللهلاك متعرضا » .
وقد اشتهر أن بعض الناس يعمل صورة الثعلب في الكرم ، ويقدم إليه العنب
في الأطباق ، ليري ذلك ثعلب آخر فيقدم إليه ، فيقع في الهلاك . وإني
أرى هذه الثلثة مكيدة ، وقد قيل : « إن الحذر نصف المهاراة » . ومن الحذر
أن أبحث عن هذه الثلثة . وأنظر لعل أجد عندها أمرا يؤدي إلى التلف ،
ولا يحملني الطمع على أن أقي بنفسى إلى الهلكة .

ثم دنا منها ، وطاف بها وهو محاذر ، فرآها فإذا هي حفرة عظيمة ،
قد حفرها صاحب الكرم ليصيد فيها الوحش الذي يفسد الكرم ،
ورأى عليها غطاء رقيقا ، فتأخر عنها . وقال : الحمد لله حيث حذرتها ،
وأرجو أن يقع فيها عدوى الذئب الذي نقص عيشى ، فأستقل بالكرم
وحدى ، وأعيش فيه آمنا .

ثم هز رأسه وضحك عاليا ، وأطرب بالنغمات ، وأنشد هذه
الآيات :

ليتني أبصرت هذا الـ وقت في ذي البئر ذنباً
طالما قد ساء قلبي وسقاني المرّ غصياً
ليتني من بعد ذا أبـ قى ويقضي الذئب نجياً
ثم يخلو الكرم منه وأرى لي فيه نهياً

فلما فرغ من شعره ، انطلق مسرعاً حتى وصل إلى الذئب وقال :
إن الله سهل لك الأمور إلى الكرم بلا تعب ، وهذا من سعادتك .
فهيناً بما فتح الله عليك ، وسهل لك من تلك الغنيمة والرزق الواسع
بلا مشقة .

فقال الذئب للشعلب : وما الدليل على ما وصفت ؟

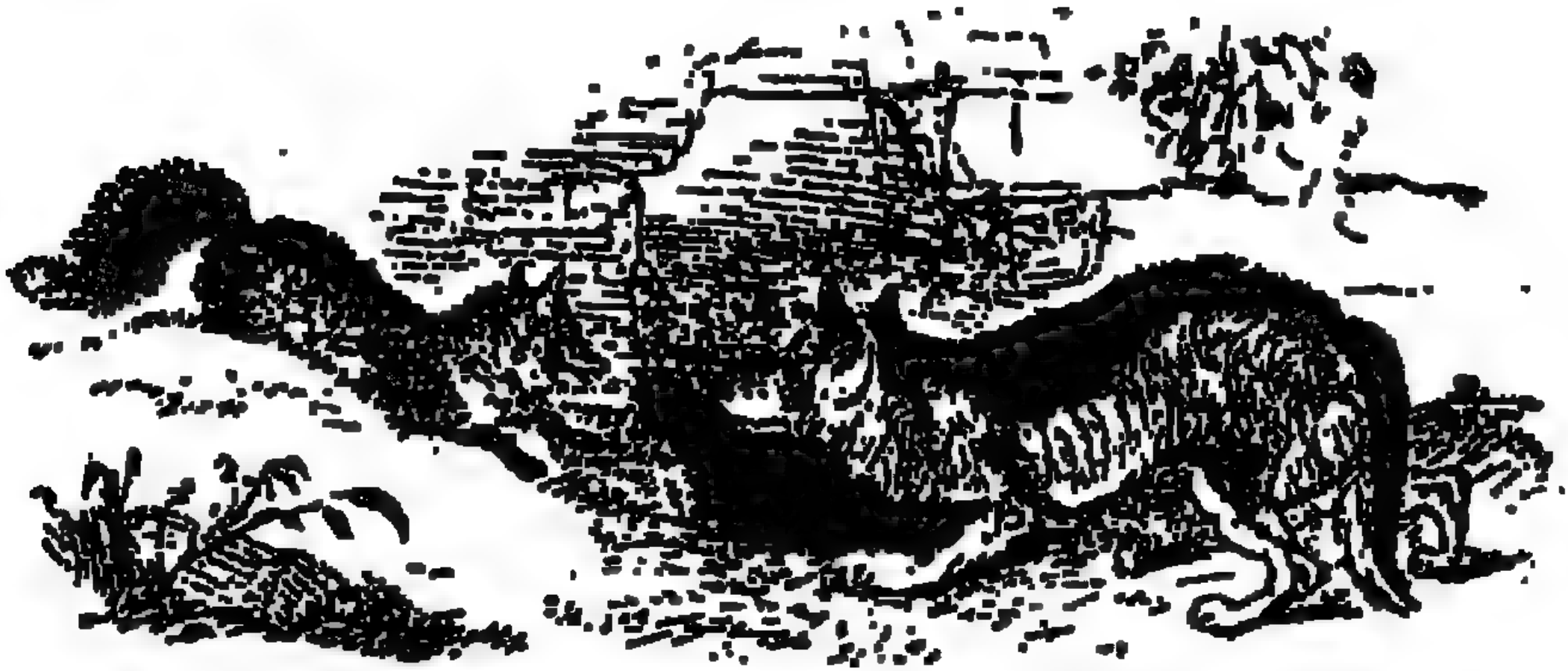
قال : إني انتهيت إلى الكرم ، فوجدت صاحبه قد مات ، ودخلت
البستان ، فرأيت الأثمار زاهية على الأشجار .

فلم يشك الذئب في قول الشعلب : وأدركه الشرّ ، فقام حتى
اتهى إلى الثلثة ، وقد غره الطمع . ووقف الشعلب متهاقاً كاليت ،
وتمثل بهذا البيت :

أطعم من ليلي بوصل وإنما تضر بأعناق الرجال المطامع

فلما انتهى الذئب إلى الثلثة ، قال له الشعلب : ادخل إلى الكرم ،
وقد كفيت مؤنة هدم حائط البستان ، وعلى الله تمام الإحسان .

فأقبل الذئب ماشيا يريد الدخول إلى الكرم ، فلما توسط غطاء
الثمة وقع فيها ، فاضطرب الثعلب اضطرابا شديدا من السرور والفرح ،



وزوال الهم والترح ، وأطرب بالنغمات ، وأنشد هذه الأبيات :

رق الزمان لحالي ورثي لطول تحرقي

وأنالني ما أشتهى وأزال مما أتقى

فلأصفحن عما جئنا ة من الذنوب السبق

حتى جنائتيه بما فعل المشيب بمفرق

قالذئب ليس له خلا ص من هلاك موبق

والسكرم لي وحدي وما لي من شريك أحق

ثم إنه تطلع في الحفرة فرأى الذئب يبكي ندما وحزنا على نفسه ،
فبكى الثعلب معه ، فرفع الذئب رأسه إلى الثعلب وقال له : أمن
رختك لي بكيت يا أبا الحصين ؟

قال : لا والذي قذفتك في هذه الحفرة ، إنما بكيت لطول عمرك
الماضي ، وأسفا على كونك لم تقع في هذه الثلعة قبل اليوم . ولو وقعت
فيها قبل اجتماعي بك ، لكنت أرحمت واسترحمت ؛ ولكن أبقيت
إلى أجلك المحتوم ، ووقتك المعلوم .

فقال له الذئب : رُخ أيها المسميء في فعله لوالدتي ، وأخبرها
بما حصل لي ، لعلها تحتال لخلاصني .

فقال له الثعلب : لقد أوقعك في الهلاك شدة طمعك وكثرة
حرصك ، حيث سقطت في حفرة لست منها بسالم ، ألم تعلم أيها الذئب
الجاهل أن صاحب المثل يقول : « من لم يفكر في العواقب ، لم
يأمن المعاطب » .

فقال الذئب للثعلب : يا أبا الحصين ، إنما كنت تظهر محبتي ،
وترغب في مودتي ، وتخاف من شدة قوتي ؛ فلا تمهد عليّ بما فعلت
معك ، فمن قدر وغفا كان أجره على الله ، وقد قال الشاعر :

أزرع جيلا ولو في غير موضعه ماخاب قطُّ جميل أينما زُرعا
إن الجميل وإن طال الزمان به فليس يحصده إلا الذي زرعَا

فقال له الثعلب : يا أجهل السباع ، وأحمق الوحوش في البقاع ،
هل نسيت تمهرك ، وعتوك وتكبرك ؟ وأنت لم ترع حق المعاشرة ،
ولم تنتصخ بقول الشاعر :

لا تظلمن إذا ما كانت مقتدرا إن الظلوم على حدّ من النقم
تنام عينك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم
فقال له الذئب : يا أبا الحصين ، لا تؤاخذني بسابق الذنوب ،
فالغفور من السكرام مطلوب ، ومنع المعروف من حسن الذخائر ،
وما أحسن قول الشاعر :

بادر بخير إذا ما كنت مقتدرا فليس في كل حين أنت مقتدر
وما زال الذئب يتذلل للشعب ويقول له : لعلك تقدر على شيء
تمخلصني به من الهلاك .

قال الشعب : أيها الفظ الغليظ إني أشبهك في حسن علانيتك
وقبح نيتك بالباز مع الحجل .

قال الذئب : وما حديث الباز والحجل ؟

قال الشعب : دخلت يوما كرمًا لأكل من عنبه ، فبينما أنا فيه
إذ رأيت بازا انقضّ على حجل ، فلما اقتنصه انفلت منه الحجل
ودخل وكره واختفى فيه .
فتبعه الباز وناداه :

— أيها الجاهل إني رأيتك في البرية جائعا فرحمتك ، والتقطت
لك حبًا وأمسكتك لتأكل فهربت مني ، ولم أعرف لهروبك
وجها إلا الحرمان ، فإظهر وخذ ما أتيتك من الحب وكله هنيئًا
مريئًا .

فلما سمع الحجل قول الباز ، صدقه وخرج إليه . فأنشب محالبه فيه ،
ومكنها منه ، فقال له الحجل : أهذا الذى ذكرت أنك أتيتنى به من
البرية ، وقلت لى : كله هنيئامريثا ، فكذبت على ؟ جعل الله ما تأكله
من لحى فى جوفك سما قاتلا .

فلما أكله ، وقع ريشه ، وسقطت قوته ، ومات لوقته .
ثم قال له الثعلب : أعلم أيها الذئب أن من حفر لأخيه قليباً^(١) ، وقع
فيه قريباً ، وأنت غدرت بى أولاً .

فقال الذئب للثعلب : دعنى من هذا المقال ، وضرب الأمثال ، ولا
تذكر لى ماسلف منى من قبيح الفعال ، يكفينى ما أنا فيه من سوء الحال ،
حيث وقعت فى ورطة يرئى لى منها العدو فضلاً عن الصديق . وانظر لى
حيلة أنخلص بها . وكن فيها غيائى . وإن كان عليك فى ذلك مشقة ، فقد
يحتمل الصديق لصديقه أشد النصب ، ويقاسى فيما فيه نجاته العطب .
وقد قيل : « إن الصديق الشفيق ، خير من الأخ الشقيق » . وإن تسببت
فى نجاتى لأجمن لك من الآلة ما يكون لك عذة ، ثم لأعلنك من
الحيل الغريبة ، ما تفتح به الكروم الخصيبة ، وتجنى الأشجار المثمرة ،
فطرب نفساً وقر عيناً .

(١) القليب : البئر .

فقال له الثعلب وهو يضحك : ما أحسن ما قالته العلماء في كثير
الجهل مثلك .

قال الذئب : وما قالت العلماء ؟

قال الثعلب : ذكر العلماء أن غليظ الجثة غليظ الطبع ، يكون بعيدا
من العقل قريبا من الجهل ؛ لأن قولك أيها الماكر الأحمق : « قد يتحمل
الصديق المشقة في تخليص صديقه » ، صحيح كما ذكرت ، ولكن عرفتني
بجهلك وقلة عقلك . كيف أصادقك مع خيانتك ؟ أحسبني لك صديقا
وأنا لك عدو شامت ؟ وهذا الكلام أشد من رشق السهام إن كنت
تعقل ، وأما قولك : « إنك تعطيني من الآلات ما يكون عدة لي ، وتعلمني
من الحيل ما أصل به إلى الكروم المنخضة ، وأجتنى به الأشجار المثمرة » ،
فمالك أيها المخادع النادر لا تعرف لك حيلة تتخلص بها من الهلاك ؟
فما أبعدك من المنفعة لنفسك ، وما أبعدني من القبول لنصيحتك . فإن
كان عندك حيل ، فاحتل لنفسك في الخلاص من هذا الأمر الذي أسأل
الله أن يبعد خلاصك منه . فانظر أيها الجاهل إن كان عندك حيلة ، فخلص
نفسك بها من القتل قبل أن تبذل التعليم لغيرك . ولكنك مثل إنسان
أصابه مرض ، فأتاه رجل مريض بمثل مرضه ليداويه ، فقال له :
« هل لك أن أداويك من مرضك ؟ » . فقال له الرجل : « هلا بدأت
بنفسك في المداواة ؟ » . فتركه وانصرف ، وأنت أيها الذئب كذلك ،
فالزم مكانك ، وأصبر على ما أصابك .

فلما سمع الذئب كلام الثعلب ، علم أنه لا خير له عنده ، فبكى على نفسه وقال : كنت في غفلة من أمرى . فإن خلصنى الله من هذا الكرب لأتوبن من تجبرى على من هو أضعف منى ، ولألبس الصوف ، ولأصعدن الجبل ذا كراً الله تعالى ، خائفاً من عقابه ، وأعزل سائر الوحوش ، ولأطعمن المجاهدين والفقراء .

ثم بكى وانتحب ، فرق له قلب الثعلب ، وكأنه لما سمع تضرعه والكلام الذى يدل على توبته من العتو والتكبر ، أخذته الشفقة عليه ، فوثب من فرحته ووقف على شفير الحفرة ، ثم جلس على رجليه ، وأدلى ذنبه فى الحفرة ، فعند ذلك قام الذئب ومد يده إلى ذنب الثعلب ، وجذبه إليه . فصار فى الحفرة معه ، ثم قال له الذئب : أيها الثعلب القليل البرحة ، كيف تشمت بى وقد كنت صاحى وتحت قهرى ، وقد وقعت معى فى الحفرة ، وتعجلت لك العقوبة ، وقد قالت الحكماء : «لو غير أحدكم أخاه برضاع كلبة لارتضعا» ، وما أحسن قول الشاعر :

إذا ما الدهر جر على أناس كلاكه أناخ بأخريتنا
قلل للشابتين بنا أفيقوا سيلنى الشامتون كما لقينا

ثم قال الذئب للثعلب : فلا بد أن أعجل بقتلك قبل أن ترى قتلى .

فقال الثعلب فى نفسه : إني وقعت مع الجبار ، وهذه الحال تحتاج

إلى المكر والخدائع ، وقد قيل : « إن المرأة تصوغ حلبيها ليوم الزينة » .
وفي المثل : « ما ادخرتك يا دمنعي إلا لشدتي » : وإن لم أتحميل في أمر
هذا الوحش الظالم هلكت لا محالة ، وما أحسن قول الشاعر :

عش بالخداغ فأنت في زمن بنوه كأسد يبيشه
وأدر قناة المكر حتى تستدير رحي المعيشة
واجن الثمار فإن تفتك فرض نفسك بالحشيشة

ثم إن الثعلب قال للذئب : « لا تعجل علي بالقتل فتندم أيها الوحش
الصنديد ، صاحب القوة والبأس الشديد . وإن تمهلت وأنعمت النظر فيما
أحكى لك ، عرفت قصدي الذي قصدته ، وإن عجلت بقتلي فلا فائدة
لك فيه ، ونموت جميعا ههنا .

فقال له الذئب : أيها الخادع الماكر ، وما الذي ترجوه من سلامتي
وسلامتك ، حتى تسألني الإمهال عليك ؟ فأخبرني بقصدك الذي قصدته .

فقال له الثعلب : أما قصدي الذي قصدته ، فما ينبغي أن تحسن عليه
مجازاتي ، لأنني سمعت ما وعدت من نفسك ، واعترافك بما سلف منك ،
وتلافك على ما فاتك من الثوبة وفعل الخير . وسمعت ما نذرت على
نفسك من كف الأذى عن الأصحاب وغيرهم ، وتركك أكل العنب
وسائر الفواكه ، ولزومك الخشوع ، وتقليم أظفارك ، وأن تلبس الصوف ،
وتتقرب القربان لله تعالى إن نجاك مما أنت فيه ؛ فأخذتني الشفقة عليك ،

مع أنتى كنت على هلاكك حريصا . فلما سمعت منك توبتك ، وما نذرت
على نفسك إن نجاك الله ، لزمنى خلاصك مما أنت فيه ، فأدليت إليك
ذنبى لكىما تتعلق به وتنجو ؛ فلم تترك الحالة التى أنت عليها من العنف
والشدة ، ولم تلتمس النجاة والسلامة لنفسك بالرفق ، بل جذبتنى جذبة
ظننت منها أن روحى قد خرجت ، فصرت أنا وأنت فى منزلة الهلاك
والموت ، وما ينجينى أنا وأنت إلا شئ . إن قبلته منى خلصت أنا وأنت ،
وبعد ذلك يجب عليك أن تبنى بما نذرت ، وأكون رفيقك .

فقال له الذئب : وما الذى أقبله منك ؟

قال له الثعلب : تنهض قائما ، ثم أعلو أنا فوق رأسك حتى أكون
قريبا من ظاهر الأرض ، فإنى حين أصير فوقها ، أخرج وآتيك بما تتعلق
به ، وتخلص أنت بعد ذلك .

فقال له الذئب : لست بقولك واثقا ، لأن الحكماء قالوا :

« من استعمل الثقة فى موضع الحقد كان مخطئا » وقيل : « من وثق
بغير ثقة كان مغرورا ؛ ومن جرب المجرب حلت به الندامة ؛ ومن لم
يفرق بين الحالات فيعطى كل حالة حظها ، بل حمل الأشياء كلها على
حالة واحدة ، قل حظه ، وكثرت مصائبه » . وما أحسن قول الشاعر :

لا يمكن ظنك إلا سيئا إن سوء الظن من أقوى القطن
مارمى الإنسان فى مهلكة مثل فعل الخير والظن الحسن

وقول الآخر :

أَلَزِمَ يَقِينَكَ سُوءَ الظَّنِّ تَنَجُّ بِهِ مِنْ عَاشٍ مُسْتَيْقِظًا قَلْتَ مَصَائِبُهُ
وَالْقَى الْعَدُوَّ بِوَجْهِهِ بِاسْمِ طَلْقٍ وَانْصَبَّ لَهُ فِي الْحِشَاءِ جَيْشًا يَحَارِبُهُ

وقول الآخر :

أَعْدَى عَدُوِّكَ أَدْنَى مَنْ وَثَّقَتْ بِهِ فَخَازِرُ النَّاسِ وَاصْحَبْتَهُمْ عَلَى دَخَلِ
وَحَسَنَ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ مُعْجِزَةً فَظُنُّ شَرًّا وَكَانَ مِنْهَا عَلَى وَجَلِ

فَقَالَ لَهُ الْهَلَبُ : إِنْ سُوءَ الظَّنِّ لَيْسَ مَحْمُودًا فِي كُلِّ حَالٍ ، وَحَسَنَ
الظَّنِّ مِنْ شِيمِ الْكِبَالِ ، وَعَاقِبَتُهُ النِّجَاجَةُ مِنَ الْأَهْوَالِ . وَيَنْبَغِي لَكَ أَيُّهَا
الذُّبُّ أَنْ تَحْتَالَ لِلنِّجَاجَةِ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ ، وَتَسْلَمَ جَمِيعًا خَيْرَ مَنْ مَوْتًا . فَارْجِعْ
عَنْ سُوءِ الظَّنِّ وَالْحَقْدِ ، لِأَنَّكَ إِنْ أَحْسَنْتَ الظَّنَّ لِي لَا أَتَخَلَّوْا مِنْ أَحَدٍ
أَمْرَيْنِ : إِمَّا أَنْ آتِيكَ بِمَا تَتَعَلَّقُ بِهِ وَتَنْجُو مِمَّا أَنْتَ فِيهِ ، وَإِمَّا أَنْ
أَعْدِرَ بِكَ فَأَخْلَصَ وَأَدْعَكَ ، وَهَذَا مِمَّا لَا يُمْكِنُ ، فَإِنِّي لَا أَمْنُ أَنْ أُبْتَلَى
بِشَيْءٍ مِمَّا ابْتَلَيْتَ بِهِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ عَقُوبَةَ الْعَدْرِ . وَقِيلَ فِي الْأَمْثَالِ :
« الْوَفَاءُ مَلِيحٌ وَالْعَدْرُ قَبِيحٌ » . فَيَنْبَغِي أَنْ تَتَّقَ لِي ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ جَاهِلًا
بِمَحَادِثِ الدَّهْرِ ، فَلَا تَوَخَّرْ حِيلَةَ خِلَاصِنَا ، فَالْأَمْرُ أَضْيَقُ مِنْ أَنْ نَطِيلَ
فِيهِ الْكَلَامَ .

فَقَالَ الذُّبُّ : إِنِّي مَعَ قَلَّةِ ثِقَتِي بِوَفَائِكَ ، قَدْ عَرَفْتُ مَا فِي خَاطِرِكَ

من أنك أردت خلاصى ، لما عرفت توبتى ، ققلت فى نفسى : « إن كان محققا فيما زعم فإنه يستدرك ما أفسد ، وإن كان مبطلا فجزاؤه على ربه » . وما أنا ذا أقبل منك ما أشرت به على ، فإن غدرت بى كان الغدر سببا لهلاكك .

ثم إن الذئب انتصب قائما فى الحفرة ، وأخذ الثعلب على أكتافه حتى ساوى به ظاهر الأرض ، فوثب الثعلب عن أكتاف الذئب حتى صار على وجه الأرض ووقع مغشيا عليه . فقال له الذئب : يا خليلي لا تنقل عن أمري ، ولا تؤخر خلاصى :

فضحك الثعلب وقهقه وقال : أيها المغرور ، لم يوقعنى فى يدك إلا المزح معك والسخرية بك ؛ وذلك أنى لما سمعت توبتك استخفنى الفرح ، فطربت ورقصت ، فتدلى ذنبى فى الحفرة ، فحذبتنى فوقعت عندك . ثم أنقذنى الله تعالى من يدك ، فمالى لا أكون عونا على هلاكك وأنت من حزب الشيطان ، واعلم أننى رأيت البارحة فى منامى أى أرقص فى عرس ، فقصصت الرؤيا على معبر ، فقال لى : « إنك تقع فى ورطة وتنجو منها » . فعلمت أن وقوعى فى يدك ونجاتى هو تأويل رؤيائى . وأنت تعلم أيها المغرور الجاهل أنى عدوك ، فكيف تطمع بقلة عقلك وجهلك فى إنقاذى إياك ، مع ما سمعت من غلط كلامى ؟ وكيف أبسى فى نجاتك ، وقد قالت العلماء : « إن فى موت القاجر راحة للباس

وتطهيرا للأرض ؟ ولولا مخافة أن أحتمل من الألم في الوفاء لك ما هو
أعظم من ألم الغدر ، لتدبرت في خلاصك .

فلما سمع الذئب كلام الثعلب ، عض على كفه ندما .
وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح :

١٥٠

(فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد المائة) ، قالت : بلغنى
أيها الملك السعيد ، أن الذئب لما سمع كلام الثعلب عض على كفه ندما ،
ثم لين له الكلام ، ولم يجد بدا من ذلك ، وقال له بلسان خافت :
إنكم معاشر الثعالب من أحلى القوم لسانا ، وألطفها مزاجا ، وهذا منك
مزاح ، ولكن ما كل وقت يحسن اللعب والمزاح .

فقال الثعلب : أيها الجاهل ، إن للمزاح حدا لا يجاوزه صاحبه ،
فلا تحسب أن الله يمكنك مني ، بعد أن أنقذني من يدك .
فقال له الذئب : إنك لجدير أن ترغب في خلاصى ، لما بيننا من سابق
المؤاخاة والصحبة ، وإن خلصتنى لا بد أن أحسن مكافأتك .

فقال الثعلب : قد قال الحكماء : « لا تؤاخ الجاهل القاجر ، فإنه يشينك
ولا يزينك ؛ ولا تؤاخ الكذاب ، فإنه إن بدا منك خيرا أخفاه ، وإن
بدا منك شرا أفشاه » . وقالت الحكماء : « لكل شيء حيلة إلا الموت ، وقد

يصلح كل شيء إلا فساد الجوهر ، وقد يُدْفَع كل شيء إلا القدر .
وأما من جهة المكافأة التي زعمت أني أستحقها منك ، فإنني شبهتك في
مكافأتك بالحية الهاربة من الحاوي ، إذ رآها رجل وهي مرعوبة ،
فقال لها : « ما شأنك أيتها الحية ؟ » قالت : « هربت من الحاوي فإنه
يطلبني ، ولئن أنجيتني منه وأخفيتني عندك لأحسن مكافأتك ، وأصنع
كل جميل » .

فأخذها اغتناما للأجر ، وطمعاً في المكافأة ، وأدخلها في جيبه .
فلما مرَّ الحاوي ومضى إلى حال سبيله ، وزال عنها ما كانت تخافه ،
قال لها الرجل : « أين المكافأة ؟ فقد أنجيتك مما تخافين وتحذرين » .
فقالت الحية : « أخبرني في أي عضو أنهشك ، وقد علمت أننا لا نتجاوز
هذه المكافأة » . ثم نهشته نهشة مات منها .

وأنت أيها الأحق شبهتك بتلك الحية مع ذلك الرجل ، أما سمعت
قول الشاعر :

لا تأمن فتى أسكنت مهبته غيظاً وتحسب أن الغيظ قد زالا
إن الأفاعي وإن لانت ملامسها تبدى انعطافاً ونمخى السم قتالا

فقال له الذئب : أيها النصيح ، صاحب الوجه المليح ، لا تجهل
حالي وخوف الناس مني ، وقد علمت أني أهجم على الحصون وقلاع
الكروم ، فاقبل ما أمرتك به ، وقم بي قيام العبد بسيده .

فقال له الثعلب : أيها الأحمق الجاهل ، المجادل بالباطل ، إني تعجبت من حماقتك وصلابة وجهك فيما تأمرني به من خدمتك ، والقيام بين يديك ، حتى كأنني عبدك ؛ ولكن سوف ترى ما يحل بك من شدة رأسك بالحجارة ، وكسر أنيابك الغدادة .

ثم وقف الثعلب على تلّ يشرف على الكروم ، ولم يزل يصيح لأهل الكرم حتى بصروا به ، وأقبلوا عليه مسرعين . فثبت لهم الثعلب حتى قربوا منه ومن الحفرة التي فيها الذئب ، ثم ولى الثعلب هاربا ، فنظر أصحاب الكرم في الحفرة ، فلما رأوا فيها الذئب وقعوا عليه بالحجارة الثقال . ولم يزالوا بضربونه بالحجارة والخشب ، ويطعنونه بأسنة الرماح ،



حتى قتله وانصرفوا . فرجع الثعلب إلى تلك الحفرة ، ووقف على الذئب فرآه ميتا ، فحرك رأسه من شدة الفرحات ، وأنشد هذه الأبيات :

أودى الزمان بنفس الذئب فاخطفت بعدا وسحقا لها من مهجة تلفت
فكم سميت أبا سرخان في تلقى فالיום حلت بك الآفات والتهبت

وقعت في حفرة ما حلها أحد إلا وفيها رياح الموت قد عصفت
ثم إن الثعلب أقام بالكرم وحده مطمئنا لا يخاف ضررا .
وهذا ما كان من حديث الذئب والثعلب .

الفأرة وبنت عرس

وما يحكى أن فأرة وبنت عرس كانتا تنزلان منزلا لبعض الناس ،
وكان ذلك الرجل فقيرا ، وقد مرض بعض أصدقائه ، فوصف له الطبيب
السسم المقشور ؛ فدفع قدرا من السسم لذلك الرجل الفقير ليقره له ،
فدفعه ذلك الرجل لزوجته ، وأمرها بإصلاحه . فقشرته تلك المرأة له ،
وأصلحته ، فلما عاينت بنت عرس السسم أتت إليه ، ولم تزل تنقل
من ذلك السسم إلى حجرها طول يومها ، حتى نقلت أكثره . وجاءت
المرأة فرأت نقصان السسم واضحا ، فجلست ترصد من يأتي إليه حتى
تعلم سبب نقصانه ، فنزلت بنت عرس لتنقل منه على عادتها ، فرأت
المرأة جالسة ، فعلت أنها ترصدها ، فقالت في نفسها : إن هذا الفعل
عواقبه ذميمة ، وإنى أخشى من تلك المرأة أن تكون لي بالمرصاد ،
ومن لم ينتظر في العواقب ، ما الدهر له بصاحب . ولا بد لي أن أعمل
عملا حسنا أظهر به براءتي من جميع ما عملته من القبيح .

فعملت تنقل من ذلك السسم الذى في حجرها ، فرأتها المرأة

وهي تفعل ذلك ، فقالت في نفسها : ما هذه سبب نقصه لأبنا تأتي به من جحر الذي اختلسه ، وتضعه على بعضه ، وقد أحسنت إلينا في رد السمسم ، وما جزاء من أحسن إلا أن يحسن إليه . . وليست هذه آفة السمسم ، ولكن لا أزال أرصده حتى يقع ، وأعلم من هو .

فعلت بنت عرس ما خطر ببال تلك المرأة ، فانطلقت إلى الفأرة فقالت لها : يا أختي إنه لا خير فيمن لا يراعى المجاورة ، ولا يثبت على المودة .

فقالت الفأرة : نعم يا خيلاتي ، وأنعم بك وبجوارك ، فما سبب هذا الكلام ؟

قالت بنت عرس : إن رب البيت أتى بسمسم ، فأكل منه هو وحياله وشبعوا ، واستغنوا عنه وتركوه ، وقد أخذ منه كل ذي روح ، فلو أخذت أنت الأخرى كنت أحق به ممن يأخذ منه .

فأعجب الفأرة ذلك ، ورقصت ولعبت بذنبها ، وغرها الطمع في السمسم ، فقامت من وقتها ، وخرجت من بيتها ، فرأت السمسم مقشورا يلمع من البياض ، والمرأة جالسة ترصده . فلم تفكر الفأرة في عاقبة الأمر ، وكانت المرأة قد استعدت بهراوة ؛ فلم تمالك الفأرة نفسها حتى دخلت في السمسم وعانت فيه ، وصارت تأكل منه ، فضربتها المرأة بتلك

المراوة فشجت رأسها ، وكان سبب هلاكها ، الطمع وغفلتها عن عواقب الأمور .

فقال الملك : يا شهر زاد ، والله إن هذه حكاية مليحة ، فهل عندك حديث في حسن الصداقة ، والمحافضة عليها عند الشدة ، والتخلص من الهلكة ؟

قالت : نعم .

الغراب والسنور .

بلغنى أن غرابا وسنورا كانا متواخين ؛ فبينما هما تحت شجرة على تلك الحالة ، إذ رأيا نمرانقبلا على تلك الشجرة التى كانا تحتها ، ولم يعلما به حتى صار قريبا من الشجرة . فطار الغراب إلى أعلى الشجرة ، وبقى السنور متحيرا . فقال للغراب : يا خليلي هل عندك حيلة فى خلاصى ، كما هو الرجاء فىك .

فقال له الغراب : إنما يلتبس الإخوان عند الحاجة إليهم فى الحيلة ، عند نزول المكروه بهم ، وما أحسن قول الشاعر :

إن الصديق الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعيك
ومن إذا ريب الزمان صدّعتك شئت فىك شئت له ليجمعك

وكان قريبا من الشجرة رعاة معهم كلاب ، فذهب الغراب حتى

ضرب بجناحه وجه الأرض ، ونفق وصاح ؛ ثم تقدم إليهم ، وضرب
بجناحه وجه بعض الكلاب ، وارتفع قليلا ؛ فتبعته الكلاب وسارت في
آثره . ورفع الراعى رأسه ، فرأى طائرا يطير قريبا من الأرض ويقع ،
فتبعه ، وصار الغراب لا يطير إلا بقدر التخلص من الكلاب ، ويطمئنها
في أن تفرسه . ثم ارتفع قليلا وتبعته الكلاب ، حتى انتهى إلى
الشجرة التي تحتها النمر . فلما رأت الكلاب النمر وثبت عليه ، فولى
هاربا ، وكان يظن أنه يأكل السنور ، فتجا منه ذلك السنور بحيلة الغراب .
وقد أخبرتك بهذا أيها الملك ، لتعلم أن مودة إخوان الصفاء ،
تنجى من الهلكات .

الشعلب والغراب

وحكى أن ثعلبا سكن في بيت في الجبل ، وكان كلما ولد ولدا
واشتد ولده ؛ أكله من الجوع ، وإن لم يأكل ولده أخيرا به الجوع
وكان يأوى إلى ذروة ذلك الجبل غراب ، فقال الثعلب في نفسه : أريد
أن أعقد بيني وبين هذا الغراب مودة ، وأجعله لي مؤنسا في الوحدة ،
معاوننا على طلب الرزق لأنه يقدر من ذلك على مالا أقدر عليه .

فدنا الثعلب من الغراب ، حتى صار قريبا منه بحيث يسمع كلامه ،
فلم عليه ، ثم قال له : يا جارى ، إن للجبار المسلم على الجبار المسلم حقين :

حق الجيرة ، وحق الإسلام . واعلم بأنك جارى ، ولك على حق يجب
قضاؤه ، وبالأخص مع طول المجاورة ، على أن فى صدرى وديعة من
محبتك دعتنى إلى ملاطفتك ، وبعثتنى على التماس أخوتك ، فما عندك
من الجواب ؟

فقال الغراب للثعلب : اعلم أن خير القول أصدقه ، وربما تتحدث
بلسانك بما ليس فى قلبك ، وأخشى أن تكون أخوتك باللسان ظاهرا ،
وعداوتك فى القلب ، لأنك آكل ، وأنا ما أكل . فوجب لنا التباين فى
الحبة ، ولا يمكن مواصلتنا ، فما الذى دعاك إلى طلب ما لا تدرك ،
وإرادة ما لا يكون ؟ وأنت من جنس الوحوش ، وأنا من جنس الطير ،
فهذه الأخوة لا تصح .

فقال له الثعلب : إن من علم موضع الأخلاء ، فأحسن الاختيار
فما يختاره منهم ، ربما يصل إلى منافع الإخوان . وقد أحبت قربك ،
واخترت الأنس بك ، ليكون بعضنا عوناً لبعض على أغراضنا ، وتُعَدِّبَ
مودتنا نجاحا . وعندى حكايات فى حسن الصداقة ، فإن أردت أن
أحكىها حكيتها لك .

فقال الغراب : أذنت لك فى أن تبثها ، فحدثنى بها حتى أعرف
المراد منها .

فقال له الشلب : اسمع يا خليلي : يحكى عن برغوث وفأرة ، ما يستدل به على ما ذكرته لك .

فقال الخراب : وكيف كان ذلك ؟

فقال الشلب : زعموا أن فأرة كانت فى بيت رجل من التجار ، كثير المال ، فأوى البرغوث ليلة إلى فراش ذلك التاجر ، فرأى بدنا ناعما ، وكان البرغوث عطشان ، فشرب من دمه . ووجد التاجر من البرغوث ألما ، فاستيقظ من النوم ، واستوى قاعدا ؛ ونادى بعض أتباعه ، فأسرعوا إليه ، وشمروا عن أيديهم يطوفون على البرغوث . فلما أحسن البرغوث بالطالب ولّى هاربا ، فصادف جحراً لفأرة فدخله . فلما رآته الفأرة قالت له : ما الذى أدخلك على ، ولست من جوهرى ولا من جنسى ؟ ولست بآمن من الغلظة عليك ولا من مضارتك .

فقال لها البرغوث : إني هربت فى منزلك ، وفزت بنفسى من القتل ، وأتيتك مستنجرا بك . ولا طمع لى فى بيتك ، ولا يلحقك منى شر يدعوك إلى الخروج من منزلك . وإنى أرجو أن أكافئك على إحسانك إلى بكل جميل ، وسوف تحمدين عاقبة ما أقول لك .

فلما سمعت الفأرة كلام البرغوث . . .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن كلام المباح .

(فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد المائة) ، قالت : بلغني
أيها الملك السعيد ، أن الفأرة لما سمعت كلام البرغوث . قالت : إذا
كان الكلام على ما أخبرت فاطمئن هنا ، وما عليك بأس ، ولا تجد
إلا ما يسرك ، ولا يصيبك إلا ما يصيبني . وقد بذلت لك مودتي .
ولا تندم على ما فاتك من دم التاجر ، ولا تأسف على قوتك منه ،
وارض بما تيسر لك من العيش ، فإن ذلك أسلم لك . وقد سمعت أيها
البرغوث بعض الوعاظ ينشد هذه الأبيات :

سلكت القناعة والإفراد وقضيت دهرى بماذا اتفق
بكسرة خبز وشربة ماء وملح جريش وثوب خلق
فإن يسر الله لي عيشي وإلا قنعت بما قد رزق

فلما سمع البرغوث كلام الفأرة ، قال : يا أختي ، قد سمعت وصيتك
وانقلت إلى طاعتك ، ولا قوة لي على مخالفتك ، إلى أن ينقضى العمر
بتلك النية الحسنة .

فقالت له الفأرة : كفى بصدق المودة في صلاح النية .

ثم انعقد الود بينهما ، وكان البرغوث بعد ذلك يأوي إلى فراش
التاجر ، ولا يتجاوز مبلغته ، ويأوي بالنهار مع الفأرة في مسكنها . فاتفق

أن التاجر جاء ليلة إلى منزله بدنانير كثيرة ، فجعل يقلبها ؛ فلما سمعت
القارة صوت الدنانير ، أطلعت رأسها من جحرها ، وجعلت تنظر إليها ،
حتى وضعها التاجر تحت وسادة ونام ، فقالت القارة للبرغوث : أما ترى
الفرصة والحظ العظيم ؟ فهل عندك حيلة توصلنا إلى بلوغ الغرض من
تلك الدنانير ؟

قال البرغوث : إنه لا يحسن لمن طلب الغرض ، إلا أن يكون قادرا
عليه . فإن كان ضعيفا عنه وقع فيما يحذره ، ولم يدرك مراده مع الضعف
وإن استحكمت قوة المحتال ، كالعصفور الذي يلتقط الحب ، فيقع في
الشبكة ، فيقتنصه صائده . وليس لك قوة على أخذ الدنانير ، ولا على
إخراجها من البيت ، وأنا لا طاقة لي على ذلك ، بل ولا على حمل دينار
واحد منها ، فشأنك والدنانير .

فقالت له القارة : إني أعددت في جحري هذا سبعين منقذاً أخرج
منها متى أردت الخروج ؛ وأعددت للذخائر موضعا حريزا ؛ وإن احتلت
أنت على إخراج التاجر من البيت ، فليست أشك في الظفر ، إن
ساعدني القدر .

فقال لها البرغوث : قد التزمت لك بإخراجه من البيت .

ثم انطلق البرغوث إلى فراش التاجر ، ولدغه لدغة قوية ، لم يكن
جري للتاجر مثلها ، ثم تمنحى البرغوث إلى موضع يأمن فيه على نفسه

من التاجر . واتبه التاجر يفتش على البرغوث ، فلم يجد شيئا ، فرقد على جنبه الآخر ؛ فلدغه البرغوث لدغة أشد من الأولى ، فقلق التاجر وفارق مضجعه ، وخرج إلى مصطبة على باب داره فنام هناك ، ولم ينتبه إلى الصباح .

ثم إن الفأرة أقبلت على نقل الدنانير حتى لم تترك منها شيئا ، فلما أصبح الصباح ، صار التاجر يتهم الناس ويظن الظنون .

ثم قال الثعلب للغراب : واعلم أنى لم أقل لك هذا الكلام أيها الغراب البصير ، العاقل الخبير ، إلا ليصل إليك جزاء إحسانك إلى ، كما وصل للفأرة جزاء إحسانها إلى البرغوث ، فانظر كيف جازاها أحسن المجازاة ، وكافأها أحسن المكافأة .

فقال الغراب : إن شاء المحسن يحسن أو لا يحسن ، وليس الإحسان واجبا لمن التمس صلة بقطيعة . وإن أحسنت إليك مع كونك عدوى ، أكون قد تسببت في قطيعة نفسى . وأنت أيها الثعلب ذو مكر وخداع ؛ ومن شيمته المكر والخديعة لا يؤمن على عهد ؛ ومن لا يؤمن على عهد لا أمان له . وقد بلغت من قريب أنك غدرت بصاحبك الذئب ، ومكرت به حتى أهلكته بغدرك وحيلتك . وفعلت به هذه الأمور مع أنه من جنسك ، وقد محبته مدة مديدة ، فما أبقيت عليه . فكيف أثق منك بنصيحة ؟ وإذا كان هذا فعلك مع صاحبك الذى من جنسك ،

فكيف يكون فعلك مع عدوك الذى من غير جنسك ؟ وما مثالك معي
إلا مثال الصقر مع ضواري الطير .

فقال الثعلب : وما حكاية الصقر مع ضواري الطير ؟
فقال الغراب : زعموا أن صقرا كان جبارا عنيدا . . .
وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٥٢

(فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد المائة) ، قالت : بلغنى
أيها الملك السعيد أن الغراب قال : زعموا أن صقرا كان جبارا عنيدا
أيام شبابه ، وكانت سباع البر وسباع الطير تفرع منه ، ولا يسلم من شره
أحد ، وله حكايات كثيرة في ظله وتجبهره . . وكان دأب هذا الصقر
الأذى لسائر الطير ، فلما مرت عليه السنون ضعف وجاع ، واشتد جهده
بعد فقد قوته ، فأجمع رأيه على أن يأتى بجمع الطير فيأكل ما يفضل
منها . فعند ذلك صارت قوته بالحيلة ، بعد القوة والشدة .

وأنت كذلك أيها الثعلب ، إن عدمت قوتك ما عدمت خدائك ،
ولست أشك في أن ما تطلبه من محبتي حيلة على قوتك ، فلا كنت
من يضع يده في يدك ، لأن الله أعطانى قوة في جناحي ، وحذرا في
نفسى ، وبصرا في عيني . واعلم أن من تشبه بأقوى منه تعب ، وربما

هلك . وأنا أخاف عليك إن تشبهت بمن هو أقوى منك ، أن يجرى
ذلك ما جرى للعصفور .

قال الثعلب : وما جرى للعصفور ؟ فبالله عليك خبرني به .

فقال الغراب : بلغني أن عصفورا كان طائرا بمراح غم ، فتفر
إلى المراح ، وإذا يعقاب كبير انقض على ريس من صغار أولاد الغم ،
فاختطفه بمخالبه وطار . فلما رآه العصفور نشر جناحه ، قال : أنا أقبل
مثل ما فعل هذا .

وأعجبته نفسه ، وتشبه بمن هو أكبر منه ، فطار لوقته ، وانقض على
كبش سمين ، له صوف كثير ، وقد تلبد صوفه من رقاده على بوله وروثه ،
فصار صوفه مثل الدُّبُق^(١) . فلما انقض على ظهره صفق بجناحيه ،
فاشتبكت رجلاه في الصوف ؛ فأراد أن يطير فلم يستطع الطيران . وقد
حدث كل هذا والراعى ينظر ما جرى لهما ، فرجع إليه غضبان ، فقبض
عليه ، وتنفأ جذعته ، وربط في رجله خيطا ، وأتى به إلى أولاده ورماه لهم .
فقال بعض الأولاد : ما هذا ؟

فقال : هذا الذى تشبه بمن هو أعلى منه فهلك .
وأنت كذلك أيها الثعلب ، أحذرك أن تشبه بمن هو أقوى منك
فتهلك . هذا ما عندى من الكلام ، واذهب عني بسلام .

(١) الدُّبُق : مادة صمغية تصاد بها صغار الطيور .

فلما يئس الثعلب من مصادقة الغراب ، رجع من حزنه يئن ، وقرع
لندامة سنا على سن . فلما سمع الغراب بكاءه وأنيته ، ورأى كآبته
وحزنه ، قال : أيها الثعلب ، ما نأيتك ، حتى قرعت نأيتك .

قال له الثعلب : إنما قرعت سنى ، لأنى رأيتك أخدع منى .

ثم إنه ولى هاربا ، ورجع إلى جحره طالبا .

وهذا ما كان من حديثهما أيها الملك .

فقال الملك : يا شهر زاد ، ما أحسن هذه الحكايات ، فهل عندك

شيء مثلها من الخرافات ؟

القنفذ والورشان

قالت : يحكى أن قنفذا اتخذ مسكنا بجانب نخلة ، وكان الورشان

هو وزوجته قد اتخذوا عشا في النخلة ، وعاشا فوقها عيشا رغدا . فقال

القنفذ في نفسه : إن الورشان يأكل من ثمر النخلة ، وأنا لا أجد إلى

ذلك سبيلا ؛ ولكن لابد من استعمال الحيلة .

ثم حفر في أسفل النخلة بيتا ، واتخذ مسكنا له ولزوجته ، واتخذ

جانبه مسجدا ، وانفرد فيه ، وأظهر النسك والعبادة وترك الدنيا . وكان

الورشان يراه متعبدا مصليا ، فرق له من شدة زهده ، وقال : كم سنة

وأنت هكذا ؟

قال : مدة ثلاثين سنة .

قال : ما طعامك ؟

قال : ما يسقط من النخلة .

قال : ما لباسك ؟

قال : شوك أنتفع بمخشوته .

فقال : وكيف اخترت مكانك هذا على غيره ؟

قال : اخترته على غير طريق ، لأجل أن أرشد الضال وأعلم الجاهل .

فقال له الورشان : كنت أظن أنك على غير هذه الحالة ، ولكنني

الآن رغبت فيما عندك .

فقال القنفذ : إني أخشى أن يكون قولك ضد فعلك ، فتكون

كالزارع الذي لما جاء وقت الزرع قصر في بذره ، وقال : إني أخشى أن

يكون أوان الزرع قد فات ، فأكون قد أضعت المال بسرعة البذر .

فلما جاء وقت الحصاد ، ورأى الناس وهم يجمعون ، قدم على

ما فاتته من تقصيره وتخلفه ، ومات أسفا وحزنا .

فقال الورشان للقنفذ : وماذا أصنع حتى أتخلص من علائق الدنيا ،

وأقطع إلى عبادة ربي ؟

قال له القنفذ : خذ في الاستعداد للمعاد ، والقناعة بالكفاف من الزاد .

فقال الورشان : كيف لي بذلك ، وأنا طائر لا أستطيع أن أتجاوز

النخلة التي فيها قوتي ؟ ولو استطعت ذلك ما عرفت موصعا أستقر فيه .

فقال القنفذ : يمكنك أن تنثر من ثمر النخلة ما يكفيك مؤنة عام أنت وزوجتك ، وتسكن في وكر تحت النخلة لالتماس حسن رشادك . ثم ملأ إلى ما نثرته من الثمر فأنقله جميعه ، وادخره قوتا للعام ، وإذا فرغت الثمار ، وطال عليك المطال ، صر إلى كفاف من العيش .

فقال الورشان : جزاك الله خيرا حيث ذكرتني بالمعاد ، وهديتني إلى الرشاد .

ثم تعب الورشان هو وزوجته في طرح الثمر ، حتى لم يبق بالنخلة شيء ، فوجد القنفذ ما يأكل ، وفرح به ، وملا مسكنه من الثمر ، وادخره لقوته ، وقال في نفسه : إن الورشان هو وزوجته إذا احتاجا إلى مؤنتهما ، طلباها مني ، وطعما فيما عندي ، وركنا إلى تزهدى وورعى . فإذا سمعا نصيحتي ووعظي ، دنوا مني ، فأقتصهما وآكاهما ، ويخلولي هذا المكان ، وكل ما يسقط من ثمر النخلة يكفيني .

ثم إن الورشان نزل هو وزوجته من فوق النخلة ، بعد أن نثرا ما عليها من الثمر ، فوجد القنفذ قد نقل جميع ذلك إلى جحره ، فقال له الورشان : أيها القنفذ الصالح ، والواعظ الناصح ، إنا لم نجد للثمر أثرا ، ولا نعرف لقوتنا غيره ثمرا .

فقل : لعله طارت به الرياح ، والإعراض عن الرزق إلى الرزاق عين الفلاح ، فالذي شق الأشداق ، لا يتركها بلا أرزاق .

وما زال يعظهما بتلك المواعظ ، ويظهر لهما الورع بزخرف الملائف ،
حتى ركنا إليه ، وأقبلنا عليه ، ودخلا باب وكرة ، وأمنا من مكره ، فوثب
إلى الباب ، وقرع الأنياب .

فلما رأى الورشان منه الخديعة لائحة ، قال له : أين الليلة من البارحة ؟
أما تعلم أن الله للمظلومين ناصر ، فأياك والمكر والخديعة ، لئلا يصيبك
ما أصاب الخداعين الذين مكروا بالتاجر .
فقال القنفذ : وكيف كان ذلك ؟

التاجر والماكران

قال : بلغني أن تاجرا من مدينة يقال لها سند ، وكان ذا مال
وابس ، فشد أحمالا ، وجهاز متاعا ، وخرج به إلى بعض المدن ليبيعه فيها .
فتبعه رجلان من المبكرة ، وخلا شيئا من مال ومتاع ، وأظهرا للتاجر
أنهما من التجار ، وسارا معه . فلما نزلا أول منزل ، اتفقا على المكر به ،
معه ، ثم إن كل واحد منهما أضمر المكر لصاحبه ، وقال
في نفسه : لو مكرت بصاحبي بعد مكرنا بالتاجر ، لصقنا لى الوقت ،
وأخذت جميع المال .

ثم أضمر اليعضهما بعضا نية فاسدة ، وأخذ كل منهما طعاما ، وجعل
فيه سما ، وقرية لصاحبه ، فقتلا بعضهما بعضا ، وقد كانا من قبل

يجلسان مع التاجر ويحدثانه ، فلما أبطأ عليه ، فتش عليهما ليعرف خبرهما ، فوجدتهما ميتين ، فلم أنهما كانا محتالين وأرادا المكر به ، فعاد عليهما مكرهما ، وسلم التاجر ، وأخذ ما كان معهما .

فقال الملك : نبهتنى يا شهرزاد إلى شئ كنت غافلا عنه ، أفلا تزيدتنى من هذه الأمثال ؟

السارق والمشتري

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن رجلا كان عنده قرد ، وكان ذلك الرجل سارقا ، لا يدخل سوقا من أسواق المدينة التى هو فيها إلا ويرجع بكسب عظيم . فاتفق أن رجلا حمل أثوابا ليبيعهها ، فذهب بها إلى السوق ، وصار ينادى عليها ، فلا يسومها أحد . وكان لا يعرضها على أحد إلا امتنع من شرائها .

فاتفق أن السارق الذى معه القرد رأى الشخص الذى معه الثياب ، وكان قد وضعها فى بقعة ، وجلس يستريح من التعب ، فلعب القرد قدامه حتى شغله بالفرجة عليه ، واختلس السارق منه تلك البقعة . ثم أخذ القرد وذهب إلى مكان خال ، وفتح البقعة ، فرأى تلك الثياب فوضعها فى بقعة نفيسة ، وذهب بها إلى سوق آخر وعرض البقعة للبيع بما فيها ، ورغب الناس فيها لقلة الثمن . فرآها رجل وأعجبته

نفاستها ، وذهب بها إلى زوجته ، فلما رأت ذلك قالت : ما هذا ؟
قال : « متاع نفيس اشتريته بدون القيمة لأبيعه وأأخذ فائدته .
فقلت : أيها اللخبون ، أبيع هذا المتاع بأقل من قيمته ، إلا إذا
كان مسروقا ؟ أما تعلم أن من اشترى شيئا ولم يعاينه كان مخطفًا ؟ وكان
مثله مثل الخائف .

فقال لها : وكيف كان ذلك ؟

فقلت : بلغنى أن حائكًا كان فى بعض القرى ، وكان يعمل
فلا ينال القوت إلا يجهد . فاتفق أن رجلا من الأغنياء كان ساكنًا
قريبًا منه ، قد أولم ولية ، ودعا الناس إليها . فحضر الحائك فرأى الناس
الذين عليهم الثياب الناعمة ، تقدم لهم الأطعمة الفاخرة ، وصاحب المنزل
يعظمهم لما يرى من حسن ذبيهم ، فقال فى نفسه : لو بدلت تلك
الصنعة بصنعة أخف مؤنة منها ، وأكثر أجرة ، لجمعت مالًا كثيرًا ،
واشتريت ثيابًا فاخرة ، وارتفع شأنى ، وعظمت فى أعين الناس .
ثم نظر إلى بعض أهل الملاعب الحاضرين فى الولية وقد صعد
سورًا شاهقًا ثم رمى بنفسه إلى الأرض ونهض قائمًا ، فقال فى نفسه :
لا بد أن أعمل مثل عمل هذا ولا أعجز عنه .

ثم صعد إلى السور ورمى بنفسه ، فلما وصل إلى الأرض اندقت
رقبته فمات .

وإنما أخبرتك بذلك لئلا يتمكن منك الشر ، فترغب فيما ليس من شأنك .

فقال لها زوجها : ما كل عالم يسلم بعلمه ، ولا كل جاهل يعطب بجهله . وقد رأيت الحاوي الخبير بالأفاعى العالم بهار بما نهشته الحية فتقتله ، وقد يظفر بها الذى لا معرفة له بها ، ولا علم بأحوالها .

ثم خالف زوجته ، وتاجر فى المتاع . وأخذ فى تلك العادة ، فصار يشتري من السارقين بدون القيمة ، إلى أن وقع فى تهمة فهلك فيها .

العصفور وملك الطيور

وكان فى بعض الأزمان عصفور ، يأتى كل يوم إلى ملك من ملوك الطيور ، ولم يزل غاديا ورائحا عنده ، بحيث كان أول داخل عليه ، وآخر من عنده . فاتفق أن جماعة من الطير اجتمعوا فى جبل عال ، فقال بعضهم لبعض : إنا قد كثرنا وكثر الاختلاف بيننا ، ولا بد لنا من ملك ينظر فى أمورنا ؛ فتجتمع كلمتنا ، ويزول الاختلاف عنا .

فريهم ذلك العصفور ، فأشار عليهم بتملك الطاووس ، وهو الملك الذى يتردد إليه . فاختاروا الطاووس وجعلوه عليهم ملكا ، فأحسن إليهم ، وجعل ذلك العصفور كاتبه ووزيره ؛ فكان تارة يترك الملازمة وينظر فى الأمور .

ثم إن العصفور غاب يوما عن الطاووس ، فقلق قلقا عظيما ، فبينما هو كذلك ، إذ دخل عليه العصفور ، فقال له : ما الذى أحرك وأنت أقرب أتباعى إلى ؟

فقال العصفور : رأيت أمرا اشتبه على فتخوفت منه .

فقال له الطاووس : ما الذى رأيت ؟

قال العصفور : رأيت رجلا معه شبكة قد نصبها عند وكري ، وثبت أوتادها ، وبذر في وسطها حبا ، وقعد بعيدا عنها ، فجلست أنظر ما يفعل ، فبينما أنا كذلك ، إذ بكرى هو وزوجته قد ساقهما القضاء والقدر حتى سقطا في وسط الشبكة ، فصارا يصرخان ، فقام الصياد وأخذهما ، فأزعجنى ذلك ، وهذا سبب غيابى عنك يا ملك الزمان ، وما بقيت أسكن هذا الوكر حذارا من الشبكة .

فقال له الطاووس : لا ترحل من مكانك ، لأنه لا يتبع الحذر من القدر .

فامتثل أمره وقال سأصبر ولا أرحل طاعة للملك .

ولم يزل العصفور حذرا على نفسه ، وأخذ الطعام إلى الطاووس ، فأكل حتى اكتفى ، وتناول على الطعام ماء ، ثم ذهب العصفور ، فبينما هو في بعض الأيام شاخص ، إذ بعصفورين يقتلان في الأرض ، فقال في نفسه : كيف أكون وزير الملك ، وأرى العصافير تقتل في جوارى ؟ والله لأصلحن بينهما .

ثم ذهب إليهما ليصلح بينهما ، فقلب الصياد الشبكة على الجميع ،
فوقع ذلك العصفور في وسطها . فقام إليه الصياد وأخذه ، ودفعه إلى
صاحبه ، وقال : استوثق منه فإنه سمين ، ولم أرَ أحسن منه .
فقال العصفور في نفسه : قد وقعت فيما كنت أخاف ، وما كان
آمناً إلا الطاووس ؛ ولم ينفعني الحذر من القدر ، فلا مفر من القضاء
للمحاذر ، وما أحسن قول الشاعر :

ما لا يكون فلا يكون بحيلة أبدا وما هو كائن سيكون
سيكون ما هو كائن في وقته وأخو الجهالة دائماً مغبون

فقال الملك : يا شهر زاد ، زيدني من حديثك الجميل .

فجالت : الليلة القابلة إن أبقاني الملك أعزه الله .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكت عن الكلام المباح .

القصّة التالية

« علي بن بكّار وشمس النهار »

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السخار وفرع كاه

ألف ليلة وليلة

مراجعة الأستاذين

سعيد جوده السحار ، عبد الستار فراج

- | | |
|--------------------------|-----------------------|
| ١ - التاجر والعفريت | ٨ - العاشق والمعشوق |
| ٢ - الصياد والعفريت | ٩ - الطيور والحيوانات |
| ٣ - الحمال والبنات | ١٠ - وابن آدم |
| ٤ - نور الدين وشمس الدين | ١١ - قمر الزمان |
| ٥ - الخياط والأحدب | ١٢ - الأبله والأسعد |
| ٦ - أنيس الجليس | ١٣ - نعم ونعمة |
| ٧ - غانم وقوت القلوب | |

دار مصر للطباعة

0310118